

فلا أحناء ولا التواء ؛ ومع كونها لغة ما قل ودل فإنها لتموج  
بالخرف كالمرس

ولولى الدين فى الأدب أنداد جبروا مجراء فى الأنفة والسمو  
والنبيل . ومن هؤلاء أبو فراس الحمدانى ، والشريف الرضى .  
أبو فراس طمع فى العرش الحمدانى والشريف الرضى فى الخلافة .  
وبين ولى الدين وبينهما شبه متعدد الوجوه فى عواطفه وشعره .

ولى الدين عانى وحشة المنفى ، وأبو فراس ذاق صهارة الأسر .  
أبو فراس عاش ومات مقهوراً ، وولى الدين عاش ومات مقهوراً .  
شعر المتنبي طفى على شعر أبي فراس ، وشعر شوقي طفى على شعر  
ولى الدين . على حين أن قصيدة أبي فراس : « أراك عصي الدمع  
شيمتك للصبر ... » تساوى ديواناً . ولا جدال فى أن صاحبنا  
أبا الطيب يتمنى لو تكون له ، إلا أن عواطف المتنبي بمسيدة كل  
اليمدعن رقة أبي فراس فى غزله بمد رقة شوقي عن طبع ولى الدين  
فلننا نحس ونحن نقرأ شوقي قلبه يجول فى المطور . فما  
هناك غير شاعر ينقر العود ليحارب سامعه ، وربما ليرفعه إلى أعلى  
ذروة من عالم الطرب ؛ على حين أن ولى الدين فى شعره اللغزلى  
يثب وثباً إلى القلب ويتلاعب به ويملكه ويذله ويدعوه إلى الاقرار  
مكرهاً بأنه فعل فيه فعله ، وبأنه تأثر كل التأثر به ، وبأن ما فى  
هذا الشعر يجاكي عواطفه وميوله ؛ فهذه نفسه مسبوكة فى أبيات  
من الشعر ذوات قواف وأوزان ، بينما هو يقف أمام شوقي وقفة  
الاعجاب ، وقفة الاحترام والخشوع ، فيتأثر عقله لا قلبه ، شأن  
كل منا أمام الأهرام وقلعة بملبك وخرائب تدمر ، فتعجب  
بالصانع والمبتكر دون أن يكون لهذا الاعجاب صلة بالقلب . فالقلب  
يظل مستقراً فى زاويته لا تهتز منه الأوتار ، على حين أن تفريدة  
ليليل وزقزقة عصقور تحتلان منه الصميم

وهذا موقف أبي فراس من المتنبي : المتنبي شاعر القوة  
وأبو فراس شاعر المهجة المفروحة ، والاتنان لا يلتقيان . فالمتنبي  
لما عاد من مصر بالاحفاق ، واحتل قلبه اليأس لم يفكر فى سوى  
الهجو ، فى غير ضرب المعصا ، فاجرى فى دنياومه قلبه بل  
حقده ، بل أعصابه الثائرة وحنقه . فأطلقتها تنلى كالرجل الجياش :  
عبدٌ بأية حال عدت يا عبيدُ بما مقى أم لأمر فيك تجديد ؟  
أما الأحبة فالبيداء دونهم يا ليت دونك يبدى دنيا يبدى

لا كرامة لنبى فى وطنه !

## ولى الدين يكن تجاهله المصريون

للاستاذ كرم ملحم كرم

مما يؤلم أن ليس لأديب مصر ولى الدين يكن سدى مسموع  
فى وادي النيل وهو الذى ملأ وادي النيل سيحاح وأغاريد ،  
فالمصريون إخوانه لا يحفلون به كما يحفلون بسواه من رجال الأدب  
والعلم ، فكأنه لم يكن ، مع أن ولى الدين بلغ مكانة فى الأدب  
والبيان يحن إلى بلوغها عدد وافر من بنى قومه . ومعظم هؤلاء  
الذين يكتبون اليوم فى مصر لا يجيدون الكتابة كما أجادها  
ولى الدين . فان لولى الدين فى الانشاء أسلوباً لم يسبقه إليه  
منشىء ، وما جازاه فيه مقلد ، فارتقى إلى ذروة سامية كان فيها نسيج  
وحده . فنفتحنا بآفة القرآن كما نفتحنا جبران خليل جبران بلغة  
التوراة ، وظهرت لنا فيه الفخامة ، والتشبيه البكر ، والذرة ،  
والبلاغة . وقد يكون فى بيانه أقدر كاتب عرفته مصر ، فما فى  
أسلوبه تقعر ولا تحذلق ولا ترهل ، بل قوة ورسوخ ، قوة  
مصدرها القلب ، ورسوخ لئلا الاخلاص ؛ فليس يكتب  
ولى الدين ليملاً فراغاً بل ليجود بما ترخر به نفسه من عواطف  
وأشجان .

وان يكن ثمة أديب يدل إنشاؤه عليه فهو ولى الدين ، ففياً  
يكتب تجرى نفسه : فبا يكتب الأنفة ، وولى الدين أنوف .  
فبا يكتب الجرأة ، وولى الدين جرى ؛ فبا يكتب ثورة على الظلم  
وولى الدين تأثر على الظلم . فبا يكتب المعظمة ، وولى الدين عظيم .  
فى أصله وفى قلبه . فان إنشائه إنشاء ملوك ، وهو من حفدة  
أصهار اللوك والسلاطين

لقد استعان المتلوطى بمواطن سواه لما كتب ، فزخرف  
رغمق ؛ وذلك حسبه ، على حين أن ولى الدين خلق ، وهذا هو  
النتى البليغ . كتب ما يحسه بلغة رفيعة وجيزة تنطلق كالسهم

وهذا شعر ، ولكنه شعر حجري مقدود من الجلود ا  
وأبو فراس يئس كالنبي لدى وقوعه في الأسر ، ولا نكير  
في أنه كان أشد من النبي بأساً وقد نزلت منه حربته وبات تحت  
رحمة ملك الروم . على أن هذا الياض لا يضرب بالمصا وهو ينظم  
الشعر ، فلا يقول كالنبي :

لا تشتر العبد إلا والمصا معه إن العبيد لأنجاس منك  
بل ينشد :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة : أيا جارتا هل تشمرين بحالي ؟  
مما ذل الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الموم يبال  
أيضاً منك بأسور وتبكي المليقة ويسكت محزون وينذب سالي ؟  
لقد كنت أولى منك بالدمع مقله ولكن دمي في الحوادث غالي  
وهذا الشعر يائس ، ولكن القلب يتكلم فيه ، لا الحنق ولا  
المصا ، وليس منحوتاً في صخر ا

\*\*\*

في طبعة الشعراء الماطفيين في مصر اسماعيل سبى  
وولي الدين . وما اشتملت الماطفة إلا في الأيام الأخيرة في  
صدر شوقي . ولقد اندفع إليها مضطراً . حملها أبطال رواياته .  
فلا يسعنا القول أن شوقي شاعر عاطفي لكونه أنطق ليلي العاصرية  
ومجتونها بالنزل والنسيب . فالوقوف جره إلى ما كلف نفسه إياه .  
فتطق بيانه لا قلبه . كان مصوراً لا حساساً يعطينا من كبده

وفي هذه الناحية اختلف ولي الدين عن شوقي : ولي الدين  
كان عبد الماطفة . وكل شعر شذبه عن الماطفة كبا فيه . والدليل  
شعره السياسي . فأين هذا الشعر من القصائد المصهور فيها قلب  
ولي الدين ؟

فبينما أنت إذا راء الدين الماطفي في حضرة شاعر من الطبقة  
الأولى إذا بك تجاه شعره السياسي أمام شاعر من الطبقة الثانية  
بل الثالثة ، وأين قصيدة :

الله في وجدني وفي مأميل من لي بعود الزمن الأول  
تد كنت أشكو عذلي في الهوى وما أنا أثني على عذلي  
بملت عذب اللوم جبراً به لو كنت أدري الحب لم أمل  
من قصيدته في تهينة سيد مصر يرمذاك عباس حلى الثاني :  
هلو بنا نمر الأمير نسلم سلام على عباس مصر المعظم

ألا إن في الأكباد شوقاً مبرحاً إليه فقد كادت من الشوق تدعى  
ففي القصيدة الأولى تكلم قلب ولي الدين فأسمنا أروع الشعر ،  
وفي الأخرى تكلم لسانه بما تقضى به الجمالات فمدا سجيته ولم  
يكن من الظافرين .

وهذه حال ولي الدين في قصائده كافة : يجلي في شعر الماطفة  
ويكبو فيها جاوز هذا الشعر . واستنا بحاجة إلى الأمثال وهي  
موفورة في كل قصيدة من نظم الرجل . وأى جسامه في الفرق  
بين قصيدته :

أعلمت الهوى الذي أخفيه أي سر في القلب لم تعلميه ؟  
هو ما واك منذ كان بل بحجب شيء في البيت من ما كنيه  
وقصيدته في رثاء أحمد خيرى بك :

ياروح خيرى حين جد الرحيل قفى قليلا وكفانا الدليل  
الموت قد بت الذي بيننا لم يبق منه غير حزن طويل

فلا صلة بين القصيدتين ولا قرابة : فكان هذه من نبع  
وتلك من نبع آخر . وعلى المرء أن يعالج ما خلق له ، وولي الدين  
على سمو منزلته في الأدب ، وهو ممن يمشون أبدأ في الطلائع  
والنظائر ، لم يدرك الفوز فيها لم ينشأ عليه . لقد تفوق في شعر  
الماطفة وكان عليه أن الأبه ديوانه نجس ، لا أن يجرى على  
ما ليس فيه ا

\*\*\*

ومع أن من حق مصر أن تفاخر برجل موهوب من أبنائها  
كولي الدين فأنها لتحدق إليه شرراً كأنما يضيها أن تتعرف إليه  
على حين تنبها سائر البلاد العربية على أديب فريد في نثره وفريد  
في شعره الماطفي في هذا العصر

يقول الناقون على الرجل إنه سائر الانكليز فوقف عليهم  
قلده ، ورحب باحتلاهم وادى النيل ، وجوابنا أن الانكليز  
ساعدوا على ترقية مصر ، فإن يدم في عمرانها غير منكورة عليهم .  
وفئة محترمة من زعماء مصر ، وبينهم من تربعوا في العرش  
المصري وكانوا منه كالسوار من اللطم ، اعترفت للانكليز  
باليد البيضاء على وادى النيل . فان يكن ولي الدين جارى هذه  
الفئة فلا عليه . وقد سمنا انجاس باشا نفسه ، زعيم الوفد المصري ،  
يتدفق باله كرا لا نكلترا على أثر إبرام المعاهدة المصرية الانكليزية ا

## مصدر الهتريّة

منذ أعوام أصدر مستشار الريخ كتابه « كفاحي » متضمناً السياسة التي عول على السير بمقتضاها ، وهي سياسة صريحة لاصرواغة فيها ولامداورة . فهل كان دنار هو خالق هذه المبادئ وواضع تلك السياسة ؟

يرى فريق من المتبمين لتطور السياسة الألمانية في نهاية القرن الماضي أن كل ما جاء به دكتاتور ألمانيا إنما هو مأخوذ عن المبادئ التي وضعها الأستاذ هنريك فن تريتشكي أستاذ التاريخ الحديث في جامعة برلين وبثها في محاضرات ألقاها على القوم في فريبيرج ولينيزج وبرلين ، أيام كانت ألمانيا محرز النصر لتو النصر على العاديمرك والنمسا وفرنسا ( أعني في المدة ما بين ١٨٦٦ - ١٨٧٢ ) ووقت أن كانت محتاج ألمانيا إلى روح من ( مرآب النقص ) تدفعها على الدوام لأن تدبوا القمة بين دول أوروبا يقول الأستاذ هميدن جاكسون في بحث نشره عن نظريات تريتشكي : « يحتمل أن تكون آراء تريتشكي قد استمدت مباشرة من كتاب ( كفاحي ) ، لولا أنها ظهرت قبل أن يعرف الوجود هذا الكتاب بنصف قرن » ولقد كتب تريتشكي يقول : « إن الحكومة هي القوة ، ووظيفة الحكومة الجمهورية هي شن الغارات ، وبدونها لا تكون هناك حكومة قط ، فلولا الحرب ما كانت الدولة . وينبغي أن يجعل المرء شماره على اسرام : ( إن الحروب دواء الأمم المريضة ) كما أنه في الساعة التي تقول فيها الحكومة : ( إن كيانى ووجودى في خطر ) ينبغي أن ينفل المرء البحث عن مراكزه الاجتماعية ، وأن يتنامى كل حزب حصونه ، ويتكر كل فرد ذاته ، وأن يعتقد أن ليست حياته بشئ ، إن هي قيست بخير المجموع . وفي هذه اللحظة ذاتها تنجل عظمة الحرب التي تقول بوجود تلاشى للضميف ، أما المثل الأعلى للسياسة فهو الذى ينشد الحرب بينما تنفر منها المادية . ما أبعد الأخلاق عن الواقع حيناً تحقر شأن الغلبة في الكيان الانساني »

ونعمة من ينسى على ولى الدين عبته بالتقاليد ، إذ حارب الخليفة ، وتزوج مسيحية ، وأطلق على أبنائه أسماء غريبة ، فانكره ذويه ومالوا عنه فمرف البؤس الرير :

تمود كل بؤسها ونميمها وعشنا على بؤسى ولم تتعود  
على أنه ماشأن الأدب في حياة الأديب الخاصة هذه في واد  
وهو في واد . وإذا جئنا ندين الأديب في حياتهم الخاصة اضطررنا  
إلى حذف تسمية أعشارهم من السجل . وهو مجهود سخيف  
ولقد بسم الحظ لولى الدين ، ولكن ما بسم له حتى مات ،  
وهذا نصيب المنكود من دنياه . كان ولى الدين من مؤيدى  
السلطان حسين كابل . فلما تولى السلطان حسين عرش مصر  
قرب إليه الأديب الموهوب ؛ غير أن الموت زاحم مولى مصر  
على ابنها البار فدعمه داء الربو فمات وهو في حلران ، وقيل إنه  
مات بالسل

\*\*\*

ومهما يكن فليس ولى الدين ممن يجب الاغضاء عنهم وله على  
البيان العربى يد طاهرة . عدا أن محاولة طمسه لن تأتى بفائدة ؛  
والند كفيل بأن يحويه . فما أبقى ولى الدين من آثار أدبية بضمن  
له الخلود . فليس من أديب في مصر يأتي فوراً تلو شوقى سوى  
ولى الدين ، أى إن إنكاره وغمط فضله لا يؤثران فيه ، بل  
يدلان على نية فاسدة . وإنما لنتره القوم في مصر عن التحزب  
في الأدب ، ويكفهم أن يملوا أن التحزب المباسى قضى على  
تسمية أعشار منظوم بشار بن برد وظل بشار من الخالدين  
دم بيروت ، كرم معلم كرم

أطلب مؤلفات  
الأستاذ الأستاذ المشهور  
وكاتب  
الأستاذ الصريح  
من مكتبة الرشد ، شارع الفلكى (باب اللرد)  
دمشق ، مكتبات العربية المتحدة